تعليق على سورة الذاريات (1)

بسم الله الرحمن الرحيم

عندك عن سماك عن خالد ، هو سماك عن خالد .
عن سماك عن خالد ....
سماك هو سماك بن حرب وراجعوها أيضاً لأن شعبه يروى عن سماك ويصل إلى علي في الغالب باثنين الظاهر أنه عن سماك عن خالد .

بسم الله الرحمن الرحيم

 والذاريات ذروا * فالحاملات وقراً * فالجاريات يسراً * فالمقسمات أمراً * إنما توعدون لصادق * وإن الدين لواقع والسماء * ذات الحبك *

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه ....ـ أما بعد .

فهذه السورة كلها مكية ، ويدل على ذلك ما اشتملت عليه ، فإن السور المكية تشتمل على تقرير التوحيد والمعاد والنبوات .

والتوحيد تارة يكون ذكر توحيد الربوبية ، وتارة يكون بذكر توحيد الإلّهية. وصدر هذه السورة ومطلعها وهو قوله جل وعلا ﴿ والذاريات ذروا * فالحاملات وقرًاً * فالجاريات يسراً * ﴾ فسرت كما سمعت بأن الذاريات هي الريح وأن الحاملات وهى السحاب وأن الجاريات ما ذكر والمقسمات الملائكة . وهذا هو المشهور في التفسيرـ هذا كما ذكر في آخر الكلام ، هو المشهور عند الصحابة وعن التابعين ، وهناك قول آخر وهو أن هذه المقسم بها كلام الملائكة ، فالذاريات هي الملائكة ، والحاملات هي الملائكة ، والجاريات هي الملائكة ، والمقسمات هي الملائكة جميعاً وهذا من جهة النظر غير مدفوع لأن مشركي العرب تعتقد في الملائكة أنها بنات الله جل وعلا وتعبد طائفة من العرب الملائكة ، وذكر أن الملائكة يأتمرون بأمر الله جل وعلا وأنهم مسخرون لما في هذا الملكوت من أفعال وأنهم موكلون بهذه الأعمال فيه إخراج لهم عما اعتقد أهل الجاهلية ، أو بعض أهل الجاهلية فيهم ، وهذا كما ترى يكثر في سور كثيرة كقوله جل وعلا ﴿ والنازعات غرقا .....ـ الآيات ﴾ وكقوله جل وعل﴿ والمرسلات عرفا... ....الآيات ﴾ وكقوله جل وعلا ﴿ والصفات صفا * فالزاجرات زجرا * فالتاليات ذكرا ﴾ وأشباه ذلك ، فالأول يعنى على

المشهور فسرت بذلك لما فيها من الدلالة على توحيد الربوبية ، ولازمه أن يوحدوا الله جل وعلا في إلاهيته سبحانه .

والثـاني : فيه إبطـال لعبـادة الملائكة واعتقـاد أنهم آلهة وأنهم بنـــات الله جل وعلا فعلى كل الآيـــات مشـتملة على ذكر التوحيد سـواءً .فسـرت بالملائكة والسحاب إلى آخره ، يعنى فسرت الذاريات بالرياح ، والحـاملات بالسـحاب ...إلي آخـره ، أو فسـرت الجميع بالملائكة كما ذكـــرت أنه قـــول له حظ من النظر فهي مشتملة أيضاً على ذكر التوحيد .

وقصة صبيغ بن عِسل التميمي اليمامي قصته مشهورة معروفة والسؤال عن مثل هذه الآيات مما يكون مشتبهاً على قارئ القرآن له حالات .

1 ـ إما أن يسأل طلباً للفائدة .

2 ـ وإما أن يسأل تلبيساً على الناس وتعنتا في طلب معنى تلك الآيات .

فإن سأل طلباً للفائدة أجيب ، لأن رد المتشابه إلى المحكم هو صنيع الراسخين في العلم وأما إن سأل عن المتشابهات تلبيساُ على الناس أو تعنتاً فإنه يؤدب ولا يجاب .

فلا يشرع في الحالة الثانية أن يجاب من سأل تعنتاً أو تلبياً أو أورد الأسئلة أو الشبه ، أو المتشابهات على وجه التلبيس والتعنت لا على وجه طلب الفائدة فإنه يزجر كما فعل عمر فإذا تحمل أفعال عمر معه مع صبيغ وما جاء في غيرها أنه ضربه وعلاه بالدِّرة على رأسه ، وغير ذلك من الروايات على أنه علم من حال صبيغ أنه سأل تعنتاً أو سأل تلبيساً ومثل هذا يؤدب .

وقوله جل وعلا إنما توعدون لصادق وإن الدين لواقع إنما توعدون هذا هو جواب القسم ، ومعنى جواب القسم يعنى ما جيء بالقسم لأجله فالله جل وعلا أقسم بالذاريات وأقسم بالحاملات وأقسم بالجاريات وأقسم بالمقسمات أو أقسم بالذاريات وعطف البقية عليها ، فكان جواب القسم يعنى الغرض الذي من أجله أقسم الله جل وعلا ، هو تحقيق الوعد الصادق وأن يوم القيامة لا ريب فيه . وهذا فيه أيضاً دليل على أن تقرير التوحيد يلزم منه تقرير المعاد فقال جل وعلا إنما توعدون يعنى من بعث الناس بعد الموت وحسابهم ودخول المطيعين للرسل الجنة ، ودخول المعرضين عما جاءت به الرسل النار هذا الوعد صادق وإن الدين لواقع يعنى إن الحساب والجزاء لواقع والدين هنا بمعنى الجزاء والحساب . كقوله جل وعلا مالك يوم الدين والدين تأتي في القرآن على أنحاء متعددة منها هذا وهو أن الدين هو الجزاء ، وتأتي بمعنى الملة والشريعة كقوله جل وعلا إن الدين عند الله الإسلام وكقوله ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه ويأتي الدين ويراد به ما يدين به الناس ويلتزمون من الأحكام والأقوال والاعتقادات فيما بينهم سواء كان حقا أو باطلا ، وهذا فيه قول الله جل وعلا وما كان ليأخذ أخاه في دين الملك وهذا كما يقال : من الوجوه والنظائر في القرآن .
 والسماء ذات الحبك * إنكم لفي قول مختلف * يؤفك عنه من أفك * قتل الخراصون * الذين هم في غمرة ساهون * يسئلون أيان يوم الدين * يوم هم على النار يفتنون * ذوقوا فتنتكم هذا الذي كنتم به تستعجلون *   إن المتقين في جنات وعيون *

آخذين مآ أتاهم ربهم إنهم كانون قبل ذلك محسنين * كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون * وبالأسحار هم يستغفرون * وفي أموالهم حق للسائل والمحروم *

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيرا إلى يوم الدين ....ـ أما بعد .
فهذه الآيات فيها صفة أهل الجنة ، وفيها نعوتهم التي كانت سبباً لدخولهم جنة الرحمن جل وعلا ، فوصفهم الله جل وعلا بعدة صفات فقال جل وعلا إن المتقين في جنات وعيون * آخذين ما أتاهم ربهم إنهم كانوا قبل ذلك محسنين واسم المتقين في القرآن يكون لمن ترك الشرك وأخذ بالتوحيد وهذا هو أدنى درجات التقوى وهي التي خوطب بها الناس جميعاً في قوله تعالى يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم يعنى اتقو بتوحيده والكفر بالطاغوت والبراءة من الشرك وأهله ، والمتقون أيضاً هم من اتقوا الله جل وعلا بترك المحرمات وبالإقبال على ما فرض الله جل وعلا وأيضاً المتقون منهم سابق بالخيرات فالمتقي في القرآن يشمل هذه الثلاث جميعاً قد يكون المتقي ممن خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً لكن هنا في هذه الآيات خصهم ، خص المتقين بصفات المسابقين بالخيرات فقال جل وعلا : إن المتقين في جنات وعيون يعني في جنات خاصة لمن هذا وصفه وإلا فمن المعلوم أن كل من وحَّد الله جل وعلا وترك الشرك بالله طاعة لله جل وعلا فإنه من

أهل الجنة بوعده الصادق جل وعلا ، وإن تأخر دخوله إليها ن لكن هذا ذكر الله جل وعلا هنا إنما هو في ناسٍ مخصوصين لهم منزلة خاصة في الجنة ولهذا نكّر لفظ الجنات فقال إن المتقين في جنات وعيون ومن فوائد التنكير التعظيم وتفخيم الأمر وتهويله لما هو عليه من عِظمِ الشأن ورفعة المكانة وصف الله المتقين بقوله : آخذين ما آتاهم ربهم إنهم كانوا قبل ذلك محسنين وقوله آخذين لأهل العلم فيها تفسيران :

1ـ منهم من قال : إن الأخذ في الدنيا .

2ـ ومنهم من قال : إن الأخذ في الآخرة في الجنة ، وسياق الآيات يدل على أن الأخذ في الجنة ولهذا قال : إنهم كانوا قبل ذلك يعني قبل أخذهم للنعيم كانوا محسنين إنهم كانوا قبل ذلك محسنين ثم فسر .. وأما الأخذ في الدنيا فكما سمعت في التفسير فإنه الأخذ بحقوق الله جل وعلا وحقوق عباده كما قال سبحانه خذوا ما آتيناكم بقوة   وخذوا ما فيه ونحو ذلك فالأخذ إذا أمر به فمعناه امتثال الأمر واجتناب النهي قال سبحانه : آخذين ما آتاهم ربهم وإذا كان في الجنة هذا الأخذ فمعنى وصفهم بالأخذ أنهم راضون به مطمئنون إليه آنسون به قال : آخذين ما آتاهم ربهم يعني عن رضا وطمأنينة وشكر لله وحمد له وهذا يدل على أنهم كانوا قبل ذلك خائفين أن لا يكونوا من أهل الجنة قال : كانوا قبل ذلك محسنين والإحسان درجات وفسره هنا بأنه بالمسابقة في أعمال صالحات فقال : كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون * وبالأسحار هم يستغفرون وقوله: كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون كما سمعت أيضاً اختلفوا فيها على قولين

: راجع إلى فهم معنى (ما) فمن قال : إن ما نافية صار معنى الآية عنده أنه لابد أن يأخذ من الليل شيئاً في طاعة واجبة أو مستحبة قال :﴿ كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون ﴾ يعني ذلك القليل لا يهجعون فيه فلابد أن لهم شيئاً من الطاعة في الليل .
والقول الثاني : أن ما هنا مصدرية يعني كانوا قليلاً من الليل هجوعهم يعني أن أكثر الليل يقومون فيه ويتعبدون الله فيه ، وهذه صفة النبي عليه الصلاة والسلام وصفة أصحابه في سورة المزمل كما في قوله جل وعلا :﴿ إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه وطائفة من الذين معك ..الآية ﴾ وقوله جل وعلا ﴿ وبالأسحار هم يستغفرون ﴾ فيه ذكر مزية الاستغفار في السحر ، والسحر يشمل ما قبل آذان الفجر يعني ما قبل طلوع الفجر الصادق بقليل ، ويشمل ما بعده وأصله من جهة ضيق التنفس يعني هذا يعني من جهة الخفاء ، وضيق التنفس ، والليل له تنفس والصبح كذلك له تنفس ، فوقت دخول النهار في الليل وأخذ النهار من الليل وابتدائه ، ما يقارب ذلك هذا سحر وهو من الخفاء فإذا قارب فهو ذلك الوقت ، لهذا بعض أهل العلم يرى السحر ما قبل طلوع الفجر الصادق بقليل ، ومنهم من يرى أنه ما بينه وبين صلاة الفجر ، وهذا على العموم فيه فضيلة الاستغفار في هذا الوقت وإذا كان كذلك فإن الاستغفار في هذا الوقت أفضل من غيره لأنه صفة أهل الإيمان وقبل صلاة الفجر وبعد الآذان وما قبل الآذان بقليل أفضل ما يعمل في هذا الوقت الاستغفار لأن الله وصف أهل الإيمان وأهل الجنة بأنهم يستغفرون في هذا الوقت فقال جل وعلا في سورة آل عمران ﴿ والمستغفرين

بالأسحار وقال هنا وبالأسحار هم يستغفرون
ولهذا قال جماعة من أهل العلم من المحققين ، إن الاستغفار في هذا الوقت أفضل من قراءة القرآن ، فإن قراءة القرآن أفضل بعامة ولكن قد يعرض على الأوقات ما يجعل شيئاً فيها أفضل من قراءة القرآن فما قبل الآذان بقليل وما بعد الآذان إلى صلاة الفجر الأفضل فيه الاستغفار والدعاء والتبتل إلى الله جل وعلا والخشوع وأشباه ذلك من الذكر وقوله : وبالأسحار هم يستغفرون مجيء هم هنا بين الظرف أو بين شبه الجملة والفعل يدل على تحققهم بهذا الوصف فإن مجيء الضمير في مثل هذا يدل على تحقيق الوصف وتأكده فيهم
والاستغفار هو طلب الغفر وهو ستر أثر الذنب والتقصير في الدنيا والآخرة لأن الذنب له أثره في الدنيا بوقوع العقوبة أو الخزي أو ظهور أثر الذنب على العبد ، وله أثره في الآخرة بالعقوبة والنكال فإذا غفر الله جل وعلا للعبد فإنه يمحو عنه أثر الذنب في الدنيا من العقوبة أو الخزي أو ما شابه ذلك ، ويمحو عنه أثر الذنب في الآخرة في العقوبة والعذاب أو الخزي أيضاً ، ولهذا صار الاستغفار غير التوبة وهنا وصفهم بالاستغفار ، والاستغفار فيه معاني كثيرة متعلقة بصفات الله جل وعلا وبأسمائه ، فالاستغفار اعتقاد اطلاع الله جل وعلا وعلمه بحال العبد ، وفي الاستغفار افتقار العبد إلى ربه جل وعلا ، وعلم العبد بأن الله بيده كل شيء وفي الاستغفار اعتقاد اسم الله الغفار والرحيم ، وفي الاستغفار اعتقاد صفة الله جل وعلا بأنه شديد العقاب وفي الاستغفار أيضاً اعتقاد ضعف العبد أمام ربه جل وعلا كما ثبت في الحديث الصحيح أنه عليه الصلاة

والسلام قال (لو لم تذنبوا لأتى الله بقوم يذنبون فيستغفرون فيغفر لهم) وهذا لأن الاستغفار فيه معرفة الله جل وعلا والعلم به وظهور آثار أسمائه وصفاته ما ليس في غيره ، فهو من هذه الجهة أرفع من التوبة ، والتوبة إذا قرنت بالاستغفار كانت كمالاً ولهذا عليه الصلاة والسلام كان يكثر أن يقول في المجلس الواحد ربي اغفر لي وتب عليَّ ، ربي اغفر لي وتب عليَّ حتى عُدَّ له مائة مرة وقال عليه الصلاة والسلام (إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم والليلة أكثر من مائة مرة) عليه الصلاة والسلام ذلك لعظيم علمه عليه الصلاة والسلام بما ينفعه وبما يكون منه عليه الصلاة والسلام تذللاً لله وتعرضاً لآثار أسمائه وصفاته

قوله جل وعلا : ﴿ وفي أموالهم حق للسائل والمحروم ﴾ الأموال جمع مال وهي كل ما يتمول فليس خاصاً بالنقدين أو ما قام مقامهما من أنواع العملات بل المال كل ما يتمول يعني كل ما يحفظه المرء ويعده لحاجته ، ويدخل في المال العقار ، ويدخل فيه المنقولات ويدخل فيه المطعومات ، ويدخل فيه الملبوس وأشباه ذلك وأحوج ما يكون الناس إلى المال الذي هو النقد ، فهذا ظاهر في دخوله في هذه الآية وأنه مطلوب مقصود قال سبحانه : ﴿ وفي أموالهم حق ﴾ وهذه الآية مكية كما هو معلوم وهذا دليل على أن في كل مال حقاً ، وأنه كان ذلك قبل فرض الزكاة ، ففي كل مال حق وعلى كل مسلم حق في ماله غير الزكاة فالزكاة نوع من الحق الواجب الذي يجب أدائه للأصناف المذكورة لكن في المال حق أيضاً سوى الزكاة وذلك من جهة أداء الحقوق الواجبة في المال ، من

النفقة مثلاً على الأهل والولد ، أو على الأقارب الذين تجب نفقتهم عليه ، أو على بذل الماعون أو على الإعارة وما أشبه ذلك مما هو مفصل في كتب الفقه ، فليس حق المال هو الزكاة فقط بل الزكاة نوع من أنواع الحقوق لكنها هي ركن الإسلام وهي قرينة الصلاة ، والزكاة أمرها عظيم من جهة نصابها ومن جهة النفقة في مصارفها الثمانية التي حددت في القرآن ، أما أنواع النفقات الأخرى فهناك ما دل على وجوب النفقة في مثل قول الله جل وعلا : ﴿ والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة * وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف * لا تكلف نفسٌ إلا وسعها * لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده وعلى الوارث مثل ذلك ﴾ فأوجب من النفقة في الرزق والكسوة على الوالد وكذلك على الوارث ، حين لا ينفق الوالد أو حين موته أو ما أشبه ذلك وقوله هنا ﴿ حق ﴾ لم يجعله حقاً معلوماً وفي آية المعارج جعله حقاً معلوماً فقال : ﴿ وفي أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم ﴾ والآية مكية والحق المعلوم هو ما كان معلوماً عندهم ، والعلم هنا إما علمه هو بما أخرجه من ماله فصار معلوماً لديه لأنه يخرج من ماله كل سنة كذا وكذا ، أو يخرج لأهل الحاجات كذا وكذا من النسبة أو من قدر المال فيصبح معلوماً بالنسبة لديه أو يكون معلوماً بما هو مأمور به من جهة الشرع ، أو بما جرى عليه العرف في مكة فالآيات تدل على أنه كان قبل نزول فرضية الزكاة كان هناك حقاً معلوماً ، وهذا الحق المعلوم إما بأمر النبي ﷺ وإما بما دل عليه العرف في ذلك الزمان ، أو بما علمه هو فأخرجه وألزم نفسه به وهذا الحق المعلوم هو

الذي فسر بأنه الزكاة في مكة فإنه يزكي ويطهر وهذا هو معنى قوله في سورة المزمل فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأقرضوا الله قرضاً حسناً مع كون الآية مكية فذكرت فيها الزكاة والمراد بالزكاة هناك إخراج الحق المعلوم الذي في هذه الآيات وفي أموالهم حق معلوم و في أموالهم حق للسائل والمحروم السائل معروف هو من يسأل يطلب حاجته ، السائل قد يكون محقاً وقد يكون غير محق فإذا كان محقاً فما يفلح من رده إذا كان له حق بم أوجب الله جل وعلا ، وإذا كان غير محق أيضاً وظهر لصاحب المال أن هذا غير محق في سؤاله ، فهنا لا يجب عليه أن يعطيه ، لكن إن أعطاه دفعاً لمذلة السؤال فهذا فيه خروج له مما تُوعد به من منع السائل والمحروم الصواب فيه ، وهو كل من حرم المال ، إما بسبب من نفسه كأهل الحرف الذين لا يجدون كفايتهم ، وإما بسبب من غيره من كونه لا يعطي القريب الذي لا يعطيه قريبه ، أو صاحب الحاجة الذي لا يعطي أهل الأموال حاجتهم وأشباه ذلك أو يدخل فيه أهل البيت الذين يُمنعون ما وجب الله جل وعلا لهم أو لا يعطون كما هو موجود في بعض البلاد أنه لا يقام لهم بحاجاتهم فهؤلاء نوع من أنواع المحرومين فيُعطون من الصدقة فكل من كان محروماً من المال ، وأكدهم من لا يسأل الناس شيئاً فهؤلاء لهم حقٌ خاص في ذلك كما وصف الله أهل الإيمان بقوله : وفي أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم أما قوله جل وعلا وفي الأرض آيات للموقنين فهذا ظاهر جداً من كون الأرض فيها أنواع من الآيات التي تدل على وحدانية الله جل وعلا في ربوبيته وأنه جل وعلا

هو الذي خلقها وهو الذي مهد السبيل فيها وشق أوديتها وأقام جبالها جل وعلا وأخرج أشجارها وثمارها سبحانه وتعالى ، ومن تأمل في الأرض وجد أن كل شيء فيها يدل على وحدانية الله جل وعلا كما قال القائل : ـ

وفي كل شيء له آية　　　تدل على أنه الواحد

وثبت عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال (تفكروا في آلآء الله ولا تفكروا في ذات الله فتهلكوا) فالتفكر في الأرض وما فيها هذا يحدث اليقين ، كما قال سبحانه هنا : ﴿ وفي الأرض آيات للموقنين ﴾ يعني أن الموقن يستفيد من الآيات وكذلك النظر في هذه الآيات يحدث اليقين ، فاليقين سبب ونتيجة أيضاً فمن تأمل ونظر وتيقن ، ومن تيقن تأمل ونظر ، فهي سبب ونتيجة فتكون اللام هنا غائبة ، أو تكون اللام هنا المعروفة يعني أنها آيات لهؤلاء يعني هؤلاء هم المختصون بكون ما في الأرض آية لهم لكونهم المنتفعين ، قال جل وعلا بعدها ﴿ وفي أنفسكم أفلا تبصرون ﴾ وهنا اختلف العلماء في الوقف على وجهين :ـ

1ـ منهم من يجعل وفي أنفسكم تابع لما قبلها في قوله ﴿ وفي الأرض آيات للموقنين وفي أنفسكم ﴾ يعني وفي أنفسكم آيات للموقنين فيكون الوقف على أنفسكم ، ومن أهل العلم من يرى أن تعلق البصر بما في الأنفس فقال : ﴿ وفي أنفسكم أفلا تبصرون ﴾ فتكون جملة مستقلة يعني أنه يطلب البصر والنظر والتدبر في الأنفس وليس ما في الأنفس آيات للموقنين ، فتلك ما في الأرض وهذا ، وهذا كلاهما صواب ، فإن ما في الأنفس آيات للموقنين لأن الله جل وعلا جعلها كذلك فقال :﴿

ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله
 وقال : ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم
أزواجاً وأشباه ذلك من النصوص : وفي السماء
رزقكم وما توعدون فورب السماء والأرض إنه لحق
مثل ما إنكم تنطقون قوله وفي السماء رزقكم
وما توعدون وما توعدون المقصود بها الجنة وفي
السماء رزقكم يعني المقصود بها المطر وما
توعدون أيضاً لأهل الإيمان من الجنة والنعيم وهذه
استدل كثير من أهل العلم بل جمهور أهل العلم
على أن الجنة موجودة الآن في السماء في العلو
وأن النار موجودة في الأرض في داخل الأرض قال
فورب السماء والأرض إنه لحق مثل ما أنكم
تنطقون وهذا لا شك أن الواجب على أهل الأيمان
أن يتيقنوا وأن يكون ما عندهم من حقائق الإيمان
أنها حق لا مرية فيه قال فورب السماء والأرض
إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون يعني أن القرآن حق
مثل ما أنكم تنطقون وإن ما في الجنة لأهل الإيمان
حق مثل ما إنكم تنطقون وأن البعث حق وآت مثل
ما إنكم تنطقون ، فهو حق لا مرية فيه كما لا مرية
فيمن يحدثك وينطق أمامك بالكلام .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً
عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه
وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين ..ـ أما بعد .
فهذه الآيات مشتملة على قصة إبراهيم عليه السلام
مع أضيافه من الملائكة فقال جل وعلا هل أتاك
حديث ضيف إبراهيم المكرمين وهؤلاء هم الملائكة
أرسلهم الله جل وعلا إلى إبراهيم في صورة شبَّان

حسان لطاف ليعظم بهم الابتلاء ووصفهم الله جل وعلا بصفتين :ـ
الأولى : أنهم ضيف .
الثانية : أنهم مكرمون .
وأما كونهم ضيفاً فإن إبراهيم عليه السلام لم يكن يعلم حقيقة حالهم ولهذا استغرب أنهم لا يأكلون ولو علم أنهم من الملائكة لما قدم لهم شيئاً كما قال هنا ألا تأكلون لأنهم لم تمتد أيديهم إلى الطعام كما في آية هود فلما رأى أيديهم لا تصل إليه نكرهم وأوجس منهم خيفة * قالوا لا تخف إنَّا أرسلنا إلى قوم لوط
والوصف الثاني أنهم مكرمون وهذا يتضمن رفعتهم عن جنسهم وتميزهم عن جنسهم بأنواع الصفات المحمودة لأن الكريم هو المتميز عن جنسه بأنواع الصفات المحمودة وهذا يعني أنهم مطهرون من الأدناس ومن الصفات المذمومة التي تكون عادة في الناس قال جل وعلا وإذ هنا بمعنى حين يعني هل أتاك حديثهم حين دخلوا عليه كأن القصة بدأت بالدخول : إذ دخلوا عليه فقالوا سلاماً قال سلام وكلمة سلام هذه أسم مصدر لمعنى التسليم فتقول فيما يقاس : سلّم سلاماً أي تسليماً وطلق طلاقاً أي تطليقاً وأشباه ذلك ، فنصبها على أنها مصدر ، سلِّم سلاماً ، أو يُسلِّم سلاماً فقالوا سلاماً يعني نُسلِّم سلاماً وهذا معناه يعني التعبير بالمصدر معناه الكمال ، يعني نُسلِّم سلاماً كاملاً فلا يأتيك منا إلا السلام ولن يحصل لك منا إلا السلام : فقالوا سلاماً قال سلام فهو ردٌ عليهم بالرفع يعني بالجملة الاسمية وهم سلّموا عليه بالجملة الفعلية ، معلوم أن الجملة الاسمية تفضل الجملة الفعلية

ولهذا قال ابن كثير : إن الرفع أفضل من النصب يعني أن الجملة الاسمية أفضل من الجملة الفعلية في ذلك لأنها مفيدة بأنواع من المعاني أعظم في هذا المقام من الجملة الفعلية قال سلامٌ يعني قال سلام عليكم ، أو عليكم سلام : قومٌ منكرون لأنه نكرهم فلا يعرفهم ليسوا من أهل البلد وليس عليهم أثر سفر فاستغرب حالهم قال فراغ إلى أهله فجاء بعجلٍ سمين كما ذكر أن الأئمة كأحمد وأهل الحديث يرون وجوب الضيافة ، والضيافة تحصل بما فيه إطعام الضيف وإيوائه ولو بدون ذبح ولكن إبراهيم عليه السلام أكرمهم بذبح عجل سمين وهذا الوجوب إنما يكون في بلد ليس فيه أماكن ينزل بها الأضياف يعني في بلد ليس فيه خانات ولا فنادق وأشباه ذلك أو أماكن معدة للأجرة فإن كان فلا وجوب بل استحباب ، كما ذهب إليه أحمد وجماعة من أهل الحديث قال : فراغ إلى أهله فجاء بعجل سمين يعني قد شوي وانتهى منه ويصلح للأكل ، والعجل معروف أنه من البقر : فقربه إليهم قال ألا تأكلون في قوله فقربه إليهم أن المستحب في الإطعام أن يقرب الطعام إلى الضيف لا أن ينقل الضيف إلى الطعام ، لأن هذا من كمال الأدب معه أن يقرب الطعام إليه لا أن يقال له : انتقل من مكان إلى مكان لأجل الطعام لكن جرت العادة عندنا وفي ما قبل ذلك أنه ينقل الضيف إلى مكان الطعام وهذا عرف لا حرج فيه لأن الضيف لا يرى أن في هذا استهانة بحقه فالعرف عندهم أن من تمام الإكرام أن يقرب الطعام إلى الضيف قال : فقربه إليهم قال ألا تأكلون فأوجس منهم خيفة يعني خوفاً لأنه رأى أيديهم لا تصل إليه : قالوا لا

تخف وبشروه بغلام عليم والغلام العليم هو إسحاق عليه السلام وكل موطن في القرآن وصف فيه ولد إبراهيم بأنه عليم فالمراد به إسحاق ، وكل موطن في القرآن وصف فيه ولد إبراهيم بأنه حليم فإنه إسماعيل عليه السلام ولهذا كان الصحيح أن الذبيح هو إسماعيل عليه السلام لا إسحاق كما جاء في حديث ضعيف أن النبي قال (أنا ابن الذبيحين) يعني أباه عليه الصلاة والسلام وإسماعيل عليه السلام ، فإسحاق يوصف بأنه عليم وإسماعيل يوصف بأنه حليم لأنه بلغ من حلمه أن قال لأبيه يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين قال :وبشروه بغلام عليم فأقبلت امرأته في صرَّة فصكت وجهها في صرة يعني في صرخة عظيمة ، كيف تلد وهي عجوز ؟ في صرَّة : يعني صكة : يعني صرخة عظيمة من الاستعجاب ، استعجاب هذا الكلام : فصكت وجهها من العجب وقالت : عجوز عقيم يعني كيف تلد وهي قد عقمت ولا تصلح للإنجاب ، فبينوا لها أن هذا أمر خارق لما جرت به عادة النساء فقال جل وعلا قالوا كذلك قال ربك يعني هكذا قال الله جل وعلا الذي يتصرف في الملكوت ، الذي هو ربك ورب كل شيءٍ هكذا قال : بأنه سوف تلدين ابناً ويكون غلاماً عليماً قالوا كذلك قال ربك إنه هو الحكيم العليم الذي بلغ من الحكمة مطلقها وأعظم ما تدل عليه وكذلك علمه كامل بكل شيء سبحانه وتعالى لا يخفى عليه دبيب النملة السوداء على الصفاة السوداء في ظلمة الليل وهو سبحانه حكيم يقدر الأمور ويضعها مواضعها اللائقة بالغايات المحمودة منها .

 قال فما خطبكم أيها المرسلون * قالوا إنَّا أُرسلنا
إلى قومٍ مجرمين لنرسل عليهم حجارة من طين *
مسومة ً عند ربك للمسرفين * فأخرجنا من كان فيها
من المؤمنين * فما وجدنا فيها غير بيت من
المسلمين * وتركنا فيها آية للذين يخافون العذاب
الأليم هذه الآيات واضحة ولكن في قوله جل وعلا
 فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين فيها دليل
على أنهم كانوا مؤمنين لأن الله سبحانه أخرج من
فيها من المؤمنين فدل على أنهم مؤمنون ثم قال :
 فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين يعني أنهم
مسلمون أيضاً وهذا على القاعدة المعروفة أن من
كان مؤمناً فإنه مسلم ، لأنهم وصفوا بالإيمان
الباطن أو وصفوا بالإسلام وهذا أكمل ومن رأى من
العلماء أن الإيمان والإسلام شيء واحد بدلالة هذه
الآية فهذا ليس بجيد بل هو غلط لأن الله جل وعلا
في سورة الحجرات فرق ما بين الإيمان والإسلام
فقال سبحانه قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا
ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم
وقد ثبت في الصحيح أن النبي أعطى عطاءً وقال
له أحد الصحابة : يا رسول الله أعط فلاناً فإني ما
علمت أنه مؤمن ، يعني فإن علمن فيه أنه مؤمن
فقال النبي عليه الصلاة والسلام أو مسلم فكرره
عليه فقال النبي أو مسلم فكرره ثالثة فقال : أو
مسلم ثم قال إني لأعطي .. إلى آخر الحديث .
فالمقصود أن الإيمان والإسلام الصحيح أنهما
متغايران وأن الإسلام إذا اجتمع مع الإيمان فيعني به
العمل الظاهر مع أصل الإيمان والإيمان إذا اجتمع
مع الإسلام فيعني به الإيمان الباطن مع أصل
الإسلام وهذا ظاهر بيِّن ومن قال : إن الإسلام

والإيمان شيء واحد يقول كالبخاري وغيره من
العلماء يقول : إن الإسلام في آية الحجرات وفي
غيرها لما فرق بينه وبين الإيمان فإنما سميَّ إسلاماً
لأنه استسلام من القتل قالت الأعراب آمنا قل لم
تؤمنوا يعني لم يحصل لكم إيمان ولا إسلام على
الحقيقة ولكن قولوا أسلمنا يعنى استسلمنا
خوفاً من القتل هكذا يؤولونها وهذا ليس بجيد لأن
حديث جبريل يرده حديث جبريل قال (أخبرني عن
الإيمان أخبرني عن الإسلام ثم قال أخبرني عن
الإيمان ففرق ما بين الإسلام والإيمان فدل على أن
الإسلام ليس هو الاستسلام من القتل وإنما هو فعل
الطاعات الظاهرة بالجوارح مع أصل الإيمان ، في
بحث طويل معروف في هذه المسألة وقوله جل
وعلا فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين *
وتركنا فيها آية للذين يخافون العذاب الأليم تركنا
فيها يعني في هذه القرية آية لأنهم عوقبوا بالحجارة
، والحجارة كانت مسومة يعنى معلمه فكل حجر
عليه اسم صاحبه الذي سيصيبه لأنهم كانوا يفعلون
الفاحشة ومن هذا اختار كثير من أهل العلم أن من
فَعَلَ فِعل قوم لوط فإنه يُرمى بالحجارة حتى يموت
لأن الله جل وعلا أُرسل إليهم الملائكة بالحجارة
فقال سبحانه إنَّا أُرسلنا إلى قومٍ مجرمين *
لنرسل عليهم حجارة من طين مسومة عند ربك
للمسرفين وهذا الدليل واضح للدلالة على ذلك
وأن من فعل فِعل قوم لوط فإنه يقتل لأن أولئك
عوقبوا بالقتل وهذا قول طائفة من أهل العلم ،
وقال الجمهور : إن من فَعَلَ فِعل قوم لوط فإنه
كالزاني ، فإن كان ثيباً قد عرف النكاح فإنه يقتل ،
وإن كان غير محصن فإنه يجلد وهذا هو الذي عليه

مذهب الإمام احمد وجماعة من الأئمة وهو الذي عليه العمل في المحاكم هنا .

 وفي موسى إذ أرسلناه إلى فرعون بسلطان مبين * فتولى بركنه وقال ساحرٌ أو مجنون * فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم وهو مُليم * وفي عادٍ إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم * ما تذر من شيء أتت عليه إلا جعلته كالرميم * وفي ثمود إذ قيل لهم تمتعوا حتى حين * فعتوا عن أمر ربهم فأخذتهم الصاعقة وهم ينظرون * فما استطاعوا من قيامٍ وما كانوا منتصرين * وقوم نوحٍ من قبل إنهم كانوا قوماً مسرفين يعني أنه من التوراة لأنه أصاب عبدالله بن عمرو أصاب أوراقاً من التوراة وأصبح يحدث منها يعني من أحاديث بني إسرائيل .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ...ـ أما بعد .

فهذه الآيات مشتملة على أنواع من آي الله جل وعلا في خلقه وفعله بأعداء رسله فقال جل وعلا وفي موسى إذ أرسلناه إلى فرعون بسلطان مبين يعني كما قال في أولها أو في ما قبل ذلك وتركنا فيها آية للذين يخافون العذاب الأليم وفي موسى يعني وفي موسى آية إذ أرسلناه إلى فرعون بسلطان مبين وكلمة إذ بمعنى حين ولكنها تقتضي استحضار التفاصيل التي يعلمها من يُذكر بالشيء قال وفي موسى آية حين أرسل إلى فرعون بسلطان مبين أو في موسى آية واذكر حين أرسل ، قال علماء المعاني : إذ تأتي في القرآن منصوبة بفعل مضمر تقديره أذكر أو اذكروا وهذا التذَّكر ليُستحضر جميع التفصيلات المعلومة في هذه القصة

كما في قوله تعالى مثلاً ﴿ واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون في الأرض تخافون أن يتخطفكم الناس ﴾ وغالباً ما يحذف الفعل أذكر أو اذكروا وتبقى إذ ﴿ وإذا قال ربك للملائكة ﴾ ﴿وإذ أوحيت إلى الحواريين ﴾ ﴿ وإذ قال الله ﴾ ونحو ذلك يعني استحضار جميع التفاصيل وكأن الذي تكلم وكأن الذي يذَّكر بذلك حضره ، فطلب منه أن يمر كل شيء حصل بين عينيه لتكون العبرة أقوى ولتكون الحجة أعظم ، قال جل وعلا ﴿ إذ أرسلناه إلى فرعون بسلطان مبين ﴾ موسى عليه السلام أرسل بالسلطان وأرسل بالآية وأرسل بالبرهان هذه ثلاثة أشياء سميت بها حجج الأنبياء فحجج الأنبياء التي دلت على صدقهم وكانت ظاهرة فوق ما مع عدوهم هي السلطان والآية والبرهان ، والبينة أيضاً ، الرابع البينة كما في قوله جل وعلا مثلاً في سورة الأعراف ﴿ قد جئتكم ببينة من ربكم * فأرسل معي بني إسرائيل ﴾ قال ﴿إن كنت جئت بآية فأت بها ﴾ وقال سبحانه ﴿ في تسع آيات ﴾ وقال ﴿ فذانك برهانان من ربك ﴾ وقال ﴿ فأتونا بسلطان مبين ﴾ وأشباه ذلك فحجج الأنبياء التي أُيدوا بها تسمى في القرآن البراهين والسلطان والآية والحجة والبينة ، وأما تسميتها معجزة فهو إصطلاح حادث وقد يكون فيه محذور لأن السلف ما استعملوا في آيات الأنبياء لفظ المعجزة وإنما درجوا على ما جاء في القرآن من تسميتها آية وبرهاناً وسلطاناً وبينة وحجة ﴿وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه ﴾ قال سبحانه وتعالى هنا :﴿ إذ أرسلناه إلى فرعون بسلطان مبين ﴾ والمبين يشتمل على شيئين :

1ـ أنه بيَّن في نفسه قوي ظاهر واضح لا إلتباس فيه وأيضاً مبين لفساد غيره لأن كلمة مبين في القرآن تكون من أبان اللازمة بمعنى وضح الشيء وظهر وبان واتضح وتكون من أبان المتعدية إذا أبان غيره وأوضح ما فيه ، وسمى الله جل وعلا السلطان هنا الذي أوتيه موسى وهو الحيَّة ، إنقلاب العصا حيَّة التي يعلمون أنه لا يستطيع ساحر أن يأتي بها ، سماها سلطاناً مبيناً وهي كذلك فقال يعني وهي كذلك من جهة أنها أبانت أن ما مع السحرة باطل وقال سبحانه هنا بسلطان مبين فتولى بركنه وقال ساحر أو مجنون الركن هنا الجانب كما قال سبحانه في آية الحج ثانيَّ عطفه ليضل عن سبيل الله   فتولى بركنه يعني تولى بجانبه مستكبراً عن ذلك مثل ما رجحه ابن كثير فيما سمعتم وقال ساحرٌ أو مجنون فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم وهو مليم وهذا واضح قال بعدها : وفي عادٍ إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم الريح منها ما هو نافع ومنها ما هو غير نافع ، منها ما يتولد منه الخير ومنها ما لا يتولد منه خير ، أو يكون سبباً للشر والخير ، ريح الخير تسمى ريح الخير كما قال جل وعلا وأرسلنا الرياح لواقح يعني تلقح السحاب وهذه الريح سميت عقيماً ، لأن العقيم هو الذي لا يتولد منه شيء فما ينفع ولهذا كانت متمحضة للشر قال سبحانه هنا وفي عادٍ إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم * ما تذر من شيء أتت عليه إلا جعلته كالرميم وهذا العموم مخصوص بالمساكن كما قال سبحانه في آية الأحقاف فأصبحوا لا يُرى إلا مساكنهم مثل ما هو معلوم في حال هؤلاء أن مساكنهم بقيت لتدل على العذاب الذي نالهم فإذاً

في قوله ما تذر من شيء أتت عليه هذا العام مخصوص أو يقال إنه قيد هنا بقوله أتت عليه والمساكن ربما أنها لم تأت عليها فيبقى العموم على حاله : وفي ثمود إذ قيل لهم تمتعوا حتى حين يعني ثلاثة أيام كما في قوله جل وعلا قال تمتعوا في داركم ثلاثة أيام ذلك وعد غير مكذوب والآيات واضحة المعنى والسماء بنيناها بأييد وإنا لموسعون * والأرض فرشناها فنعم الماهدون * ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون * ففروا إلى الله إني لكم منه نذير مبين * ولا تجعلوا مع الله إلهاً آخر إني لكم منه نذير مبين قال سبحانه وتعالى هنا : والسماء بنيناها بأيدٍ وإنَّا لموسعون وقوله السماء هذا يشمل جنس السماوات والمراد بالسماء هنا واحدة السماوات ،وقوله بنيناها بأيد يعني شيَّدناها ورفعناها وبنيناها بقوة وبشدة فالأيد هذه كلمة مفردة ليست جمعاً ومعناها القوة والشدة كما في قوله تعالى في سورة (ص) واذكر عبدنا داود ذا الأيدي إنه أواب يعني ذا القوة والشدة والسطوة فقوله سبحانه هنا بنيناها بأيدٍ وإنا لموسعون يعني بنيناها بقوة لأن السماء أمرها عجيب .

والسماوات السبع متراكبة بعضها فوق بعض طباق ، وهي سقف محفوظ يعني السماء الدنيا سقف محفوظ لهذه الأرض ، وقوله سبحانه وتعالى : وإنا لموسعون   يعني فيها بنيناها بأيدٍ وإنا لموسعون في السماء وفيما خلق الله جل وعلا فهو سبحانه وتعالى الواسع وهو الموسع للأشياء إذا أراد وإذا شاء سبحانه وتعالى وقوله وإنا لموسعون هذه تحتمل أن يكون المراد بها أصل الخلق ويحتمل وهو

الأوجه أن يكون المراد بها ما يكون من التغيير يوم القيامة لأن الجنة التي وعد أهل الإيمان تسع السماوات وسابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين والآية الأخرى التي في الحديد فالسماوات والأرض فيها الجنة عرضها السماوات والأرض . والنار في الأرض ، وهذا لأن الله سبحانه وتعالى يوم القيامة يوسع الأشياء ويوسعها كما قال هنا سبحانه والسماء بنيناها بأيد وإنا لموسعون يعنى يوم القيامة يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات تتوسع الأرض وتتوسع السماء فتكون الأرض فيها النار وتكون السماء فيها الجنة والأرض فرشناها فنعم الماهدون ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون فقول ابن كثير رحمه الله أن الشيء هذا يدخل في كل هذه التي ذكر ، الإيمان والكفر والجنة والنار والسماء والأرض أخذه من لفظ شيء أن كلمة شيء تدل على ما يصح أن يعلم أو ما يؤول إلى العلم وهذه الأشياء داخلة في العموم ومن كل شيء خلقنا زوجين والأزواج هي المتقابلة بعضها يضاد بعض ، فالسماء مقابلة للأرض والليل يقابل النهار ويضاده ، والجنة تقابل النار وتضادها ، وهكذا حتى الحيوان والشجر فيه ذكر وفيه أنثى يعنى فيه أزواج ، وهذا من آيات الله جل وعلا الباهرة التي تدل على أنه سبحانه وتعالى الخالق ، ولهذا قال سبحانه هنا لعلكم تذكرون وهذا كما قال جمع من السلف أنه ينبغي على العباد ، وقال بعضهم يجب أن يتفكروا حتى يتذكروا كما قال الحسن رحمه الله تعالى الحسن البصري : عاملنا القلوب

بالتفكر فأورثها التذكر فعدنا بالتذكر على التفكر وحركنا القلوب بهما فإذا القلوب لها أسماع وأبصار . وهذا ينبغي على أهل العلم وعلى طلبة العلم وعلى كل مسلم أن يعاهد نفسه به لأن الله سبحانه أمرنا بالتفكر والتذكر في مخلوقاته فقال سبحانه هنا ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون   من كل شيء خلقنا زوجين يعنى فتفكروا في ذلك لعلكم تذكرون أن الذي فعل ذلك وخلقه هو الله فتستعدون للقائه وتطيعون رسوله عليه الصلاة والسلام ، ولهذا قال بعدها ففروا إلى الله إني لكم منه نذير مبين والله سبحانه وتعالى هو الذي لا يُفر منه إلا إليه سبحانه وتعالى ولهذا قال هنا ففروا إلى الله يعنى فروا من غيره إليه ، وفروا منه سبحانه وتعالى إليه ، وهذا يعظم الرغب فيما عند الله جل وعلا في طاعته وفي حسن التوكل عليه وحسن الظن به ، واعتقاد أنه سبحانه هو الذي يصرف الأشياء كيف يشاء سبحانه وتعالى ففروا إلى الله يعنى بالإيمان ، فروا إلى الله بالتوكل . فروا إلى الله بالتوحيد فروا إلى الله بحسن الظن به سبحانه وتعالى . فروا إلى الله تاركين غيره . مهاجرين إليه جل وعلا بطاعته وطاعة رسوله   إني لكم منه نذير مبين   ولا تجعلوا مع الله إلها آخر إني لكم منه نذير مبين هذه هي النتيجة الحاصلة من التفكر والتذكر والإيقان بأن الله هو الواحد في ربوبيته أن يطاع الرسول وأن يعبد الله وحده دونما سواه . فمن عالج أمور الربوبية وتفكر فيها لذاتها لا لتقود إلى عبادة الله وحده دون ما سواه وطاعة رسله ، وطاعة رسوله محمداً عليه الصلاة والسلام فإنه ليس على النهج بل التفكر في

إفراد الربوبية والتفكر في الملكوت ، النافع هو الذي يقود إلى طاعة الله جل وعلا وإلى توحيده والاستعداد للقائه فهذا هو الذي يكون نافعاً أما إذا كان للذة العقل أو للذة النظر وأشباه ذلك فإن هذا هو صنيع أهل الشرك فإنهم نظروا ولم يستفيدوا فتأملوا بها في ملكوت الله من جهة الحسن والبهاء والدلالة على الربوبية دون أن يورثهم ذلك الاستعداد للقاء الله جل وعلا ن فلابد من التفكر والتفكر الصحيح يورث تذكر الرب جل وعلا والاستعداد للقائه ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون وقال سبحانه في آيات آل عمران إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم * ويتفكرون في خلق السماوات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك فقنا عذاب النار *ربنا إنك من تدخل النار فقد أخزيته وما للظالمين من أنصار .. إلى آخر الآيات فأفادهم التفكر ويتذكرون ، أفادهم من الخوف من النار والسعي في الإيمان ربنا إننا سمعنا منادياً ينادي للإيمان أن أمنوا بربكم فآمنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا .. إلى آخر الآيات فدل هذا على أن التفكر مطلوب ولكن النافع منه هو الذي يورث التذكر الداعية إلى الله جل وعلا ، والعالم وطالب العلم والمرشد إذا حث الناس على التفكر وذكر شيئاً من مخلوقات الله التي تدل على وجوده سبحانه وعلى أنه هو الرب جل وعلا المصرف لهذه ، لابد أن يقرن هذا بالمقصود من هذا التفكر وهو تذكر الرب جل وعلا وتذكر لقائه وأنه سبحانه هو الذي ستصير إليه الأمور جل وعلا ، وأما مجرد ذكر أفراد الربوبية وإثبات

وجود الله بالدلائل الكونية أو العلمية أو حتى بالدلائل من القرآن والسنة فإن هذا قاصر بل لابد أن يكون معه نتيجة ولهذا في القرآن لا يذكر التفكر لا تذكر آيات الملكوت إلا ومعها النتيجة منها ، وهي عبادة الله وحده دون ما سواه والاستعداد للقائه وطاعة رسله وأن ما جاء من عند الله حق وأشباه ذلك فإذاً التفكر وسيلة وليس غاية ولهذا لابد أن يُجعل وسيلة إلى المقصود الشرعي منه .

 كذلك ما أتي الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحرٌ أو مجنون * أتواصوا به بل هم قومٌ طاغون * فتول عنهم فما أنت بملوم * وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين * وما خلقت الجن والأنس إلا ليعبدون * ما أريد منهم من رزقٍ وما أريد أن يطعمون * إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين * فإن للذين ظلموا ذنوباً مثل ذنوب أصحابهم فلا يستعجلون * فويل للذين كفروا من يومهم الذي يوعدون .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه أما بعد

.......................-

فهذه خاتمة سورة الذاريات وسورة الذاريات كما قدمنا لك سورة مكية اشتملت على تقرير الرسالة وما فعل الله جل وعلا بالمكذبين الأوليين فابتدئها جل وعلا بقيام الحجة عليهم بذكر بعض آياته وذكر حال المكذبين بقوله : يؤفك عنه من أفك * قتل الخراصون الذين هم في غمرة ساهون * يسألون أيان يوم الدين * يوم هم على النار يفتنون * ذوقوا فتنتكم وذكر بعض آياته جل وعلا ومصير المؤمنين المتقين المتبعين للرسل في الآخرة ومصير

المكذبين الذين كذبوا بالرسل بإبراهيم عليه السلام وبلوط وبموسى وبعاد وبهود وبصالح وبنوح إلى أن قال جل وعلا : وكذلك ما أرسلنا من قبلك
وكذلك ما أتى الذين من قبلك من رسول إلا كانوا به يستهزئون * اتواصوا به بل هم قوم طاغون م
وكذلك ما أتي الذين من قبلهم ن رسول إلا قالوا ساحراً أو مجنون فهذه تدل على أن المكذبين للرسل جميعاً كانت حجتهم في رد الرسالات واحدة فقوله جل وعلا فكذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول هذا عام يشمل جميع الرسل وقوله : إلا قالوا ساحرٌ أو مجنون فيه حصر للمقولة بأنه ساحر أو مجنون وساحرٌ أو مجنون هذه تحتمل أنها قول لكل طائفة لكل قوم وتحتمل أن تكون لاختلاف الطوائف فبعضهم يقول ساحر وبعضهم يقول مجنون فقوم موسى ، فرعون ومن معه قالوا عن موسى عليه السلام ساحر وآخرون قالوا عن رسولهم إنه مجنون وهكذا ، ومحمد عليه الصلاة والسلام قال عنه قومه : ساحر وقالوا عنه مجنون أيضاً ، ووجه كونه ساحراً عندهم أنه أتى بكلام مسجوع ، والكلام المسجوع من صنيع الكهان والسحرة عندهم ، وكذلك بكلام يؤثر في الناس ، وتخضع له القلوب فجعلوه ساحراً لهذه العلة ، وهذا يدل على أن الذين يضادون الديانة والرسالة إذا رموا أهل الحق ببعض الفرية فإنه لابد أن يكون عندهم تعليل ، وهذا التعليل يروجون به على ضعفاء العقول والإيمان أو ضعفاء العقول المكذبين المعتدين ، ووجه قولهم إنه مجنون أن المجنون الذي أُصيب بجني فسكنه دخل فيه أو أصبح يؤثر فيه ، إنه هو الذي يخرج مثل هذا الكلام الذي لا يعي

أبعاده ، ولا يعي أنه يفرق ، ولا يعي أنه كذا وكذا من الأفعال التي لا يختارها من يتحكم في نفسه .
فإذاً قولهم ساحر أو مجنون هذا لهم تعليل فيه وقوله جل وعلا هنا وكذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحرٌ أو مجنون تتابعوا على ذلك ولهذا قال بعدها : أتواصوا به بل هم قوم طاغون وتواصوا به الهمز في أولها أتواصوا به هذه الهمزة للإنكار عليهم وذكرت لكم قاعدة الهمز في ما مضى وأن الهمزة التي تسبق الجُمل في التفسير :
1ـ قد تفيد الإنكار 2ـ قد تفيد التوبيخ 3ـ وقد تكون على بابها للتقدير
فقوله جل وعلا : أتواصوا به بل هم قومٌ طاغون يعني الحقيقة أنهم لم يتواصوا به لكن اجتمعوا في الطغيان ، والطغيان هو مجاوزة الحد المأذون به ، فكل من جاوز الحد المأذون به في الأقوال أو في الأعمال ، فقد أصابه الطغيان ، أمر نبيه بالتولي عنهم فقال : فتول عنهم فما أنت بملوم * وذكِّر فإن الذكرى تنفع المؤمنين وهذا بيِّن ظاهر .
قال : وما خلقت الجن والأنس إلا ليعبدون واللام ذكر لك يعني عدة معاني في يعبدون ، والصحيح أن معنى ليعبدون : يعني إلا لعبادتي ، إلا ليوحدون ، واللام هي لام الغاية يعني الغاية من خلقهم هذا ، وهي تعليل للخلق وقد يقع من العباد ذلك التوحيد وقد لا يقع منهم قد يحصل منهم وقد لا يحصل إذاً هي تعليل للغاية الشرعية وذلك يعني أنه مطلوب منهم شرعاً أن يعبدوه وحده دون ما سواه فليست هي قدرية كما يظن البعض ، بل الصواب أنها لبيان الغاية الشرعية من خلقهم فإذاً معناها إلا ليعبدوني

وحدي ، إلا لعبادتي في بيان الغاية من خلقهم الغاية الشرعية .
 ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون * إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين ذكرت لكم مراراً أن الأسماء والصفات في القرآن لها آثارها في ملكوت الله وفي القرآن آثارها ، وهذا يعرف بظهور التعليل في الآيات ، والتعليل يستفاد منه بستة أوجه ذكرها العلماء في مبحث القياس في الأصول ، ومنها مجيء إن بعد أمر أو النهي الآية إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين دل على أن العلة في كونه جل وعلا ما يريد منهم من رزق ، وما يريد أن يطعموه جل وعلا ، أنه سبحانه هو الرزاق الذي يرزق ولا يُرزق وأنه هو ذو القوة سبحانه وأنه المتين سبحانه وتعالى الذي كمل في غناه وكمل في أسمائه وصفاته وكذلك من مسالك التعليل التي تظهرها بها آثار الأسماء والصفات مجيء الجملة مرتبة بالفاء وبالشرط ، وبجوابه ، وبالجملية الاسمية التي تفيد الثبوت وأشباه ذلك مما هو مقرر في موضعه .